القصة جنساً أدبياً

دكتور

صالح رضي عزب

الأستاذ المساعد

بقسم الأدب والنقد بالكلية

القصـــة نشـــأة وتاريخهـــا :

القصـــة عمـــل أدبى متميـــز لـــه خصائصه وأركانه ومقـــوماته يتميز بالرقى والوضوح والابداع فى كشف خواطـــر النفوس وخلجات الصـــدور وتجسيم الخيـــال وتصوير الواقـــع ، وهى المـــرآة التى تنعكس عليهـــا صـــورة المجتمع الحقيقية بشـــتى أبعادها خاليـــة من الزيف والبطـــلان .

والقصـــة فى مفهومها « عمـــل أدبى يصـــور حـــادثة من حوادث الحيـــاة أو عـــدة حـــوادث مترابطة ، يتعمـــق القـــاص فى تقصيها والنظـــر اليهـــا من جوانب متعـــددة ليكسبها قيمـــة انسانية خاصـــة مع الارتبـــاط بزمانهـــا ومكانها وتسلسل الفـــكرة فيهـــا ، وعـــرض ما يتخللها من صـــراع مـــادى أو نفسى ، وما يكتنفها من مصـــاعب وعقبـــات على أن يكـــون ذلك بطـــريقة مشـــوقة تنتهى الى غـــاية معينـــة »(١) .

وقيـــل ان « القصة فـــن يطلق الكاتب فيـــه العنان للتعبـــير عن مكنونات النفس البشرية وسلوك الأفـــراد ضمن اطـــار عـــام يطرح فـــكرة أساسية ويعتمد القـــاص فى هـــذا على مقـــدرته الفنيـــة أو ما يطلقون عليه اســـم « الطـــاقة الاخبارية » التى يعتمد القـــاص عليهـــا فى نقـــل العمـــل الأدبى ـ قصـــة ، أو روايـــة أو مسرحية

---

(١) الادب العـــربى الحديث ومدارســـه ؛ د. محمد عبد المنعم خفاجى ص٤٣٣ جـ ٢ .

باتقـان وجـودة تثـير فى نفس القـارىء الانفعـال المطلوب •

وعلى هـذا الأساس فقـد أصبحت القصـة وسيلة من وسائل تصـوير المجتمع والواقـع ثم التغلغل فى نفـوس الشخوص بغيـة دراستها ودراسـة بواعث السلوك الخارجى وقـد ساعدت دراسـات الفلسفة وعـلم النفس والاجتماع منـذ فـرويد ويونج على تلمس الطـريق الى تلك النفس ومعـرفة طبيعة ما يسمى بالشعور واللاشعور ممـا أوجد فى القـرن التاسع عشر والعشرين نوعـا جديدا ومستحدثا من الروايـة يعتمد اعتمادا كليـا على طريقة المعالجة الفنيـة الحديثة التى تركـز على تيـار الوعى فى الشخصية القصصية »(٢) •

وقيـل أيضـا ان « القصـة : حكاية تعتمد على السرد والوصف وصـراع الشخصيات بمـا ينطوى عليـه ذلك من تخلل عناصر الحوار لهـذا الجـدل الدائـر بين الأشخاص والأحـداث »(٣) •

وقيـل « هى التعبـير عن الحيـاة بتفصيلاتها وجزئياتها كمـا تمـر فى الزمن ممثـلة فى الحـوادث الخارجية والمشاعر الداخلية •• فتبـدأ وتنتهى فى حدود زمنيـة معينـة وتتناول حـادثة أو طائفة من الحـوادث بين دفتى هـذه الحـدود »(٤) •

أمـا مفهوم القصـة عند النقـاد الغربيين فـانه يقـوم على

---

(٢) القصة عند عبد الحميد جـودة السحار ص٥٩ : فاطمة الزهراء المـوافى .

(٣) عن اللغـة والأدب والنقـد د. محمد أحمد المعـزب ص١٧٧ .

(٤) النقـد الأدبى اصـوله ومناهجه للأستاذ / سيد قطب ص٧٣ .

استثارة الاهتمام لدى المتلقين وهـذا المفهوم فى حـد ذاته لا يختلف كثـيرا عن مفهومه لدى النقـاد العـرب .

ويعرف بعض النقـاد الغربيين القصـة « بأنهـا حكاية مصطنعة مكتوبة نثـرا تستهدف استثارة الاهتمام سـواء كـان ذلك بتطـور حوادثها أو بتصويرها للعـادات والأخلاق أو بغـرابة أحداثها »(٥) .

ومن النقـاد الغربيين من اتجـه الى القصة القصيرة وهى أحـد أنـواع القصـة وأولاهـا جـل عنايته ورعايته ، وخصها بالضـبط والتعريف ، فالنـاقد الكاتب بالانجليزى « بيرنار بيرجونزى » يقـول ان القصـة « فـن أدبى قـد يجعـل الكاتب يغـربل التجربة التى يريـد أن يكتب عنهـا حتى لا يبقى منهـا آخـر الأمـر الا العناصر الأولى وهى الهزيمة والعـزلة »(٦) .

أمـا « هـوارد نيجيروف » فينظـر الى القصـة القصيرة بعين الازدراء والسخرية ويعرفها على أسـاس من النقـد القاسى المهين فيقـول : « معظـم القصص القصـيرة تقتصر على حيـل شـائعة وتتضمن مفاجآت داخلة فى تركيبها وأدوات صغيرة تؤدى الى معـرفة الموضوع وتحـويل سـيره تمـاما أو تجعله يؤدى الى نتيجة غـير متوقعـة ، وأصـور ذلك بمضخة صغيرة تزيـد الضغط ثـم زنـد

---

(٥) الأدب العـربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى جـ ٢ ص٤٣٣ .

(٦) القصة القصيرة تأليف ايـان رايـد ، ترجمة د. مـنى مؤنس ص١٢ .

صغير يؤدى الى الانطلاق ، ويلى ذلك الافراج وذلك عندما نصل الى التخلص من الضغط أو الخلاص من المشكلة وأخيرا يجىء المؤخ بدمية تهبط الى الأرض بمظلة واقية وكل ذلك يحدث فى القصة القصيرة ، ولكن لا يحدث لشخص معين »(٧) •

ولما ظهر الاسلام واتسعت الفتوحات وجال العرب فى كل فالقصة فى الأدب العربى القديم ، بدأت منذ العصر الجاهلى فى قصص قصيرة ترويها مصادر الأدب العربى كالأمالى والاغانى والفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة وغيرها ، وكان طابع القصة العربية فى أغلب الأمر أخلاقيا . ونعلم أنه كان للعرب قصص وأساطير وأسمار تعبر عن حياتهم تعبيرا صادقا منذ العصر الجاهلى وفى الجاهلية كان النضر بن الحارث يقص قصص الفرس وأساطيرهم . وكذلك كان أبو زيد الطائى وهو من الشعراء المخضرمين يزور بلاد الفرس ويلم بسيرها ويقص قصصهم وأساطيرهم ، وقص الأعشى فى شعره كثيرا من قصص الفرس والعرب وكذلك عدى بن زيد كما كان أمية بن أبى الصلت ينسج قصص التوراة والانجيل •

ولما ظهر الاسلام واتسعت الفتوحات رجال العرب فى كل مكان واطلعوا على كثير من أقاصيص الفرس والروم والهند والمصريين وغيرهم من الأمم القديمة اتسع خيالهم ونمت مواهبهم فى فن القصة وتوسعوا فى ذلك اتساعا كثيرا وبالتأليف فى فن السيرة وفى التاريخ اتسع مجال القصة فى الأدب العربى ،

---

(٧) المرجع السابق ص١٢ •

ولوهب ابن منبه كتاب « التيجان » فى ملوك حمير ... وألف أبو مخنف الأزدى فى أيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة وفى الخوارج والفتوح .

ولما جاء العصر العباسى انعست العناية بالقصة وكثرت القصص والأساطير فى الأدب العربى وألفت فيها كتب كثيرة من ذلك : المحاسن والأضداد للجاحظ ، ومنها قصص « العقد الفريد » و « الحيوان » للجاحظ وقصص « الأمالى » للقالى وروايات الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى وقصص المقامات .. ومن أهم القصص العربية القديمة أخبار التوحيدى ، والتوابع والزوابع لابن شهيد ، وألف ليلة وليلة ، ورسالة الغفران للمعرى وحى بن يقظان لابن طفيل .

أما القصة على لسان الحيوان نثرا وشعرا فهى فن أدبى وجد فى الأدب العربى القديم بترجمة ابن المقفع لكتاب « كليلة ودمنة » من اللغة الفارسية الى العربية ، هذا فيما يتعلق بنشأة القصة وتاريخ تطورها فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى ولا نقول قد سبقهم بها غيرهم فهى متأصلة فى نفوسهم العربية(٨) منذ نعومة أظفارهم خصوصا قصص الفروسية والحب والقصص العاطفية بوجه العموم فان للعرب فيها قصب السبق وقد أخذها منهم الغربيون وساروا على نهج العرب فى تأليفهم القصصى متأثرين بهم .

---

(٨) راجع الادب العربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ج ٢ ص٤٣٧ ، ٤٣٨ .

أما عن نشأة القصة وتطورها فى الآداب الأوربية فانها قد نشأت متأخرة عن الملحمة والمسرحية فى الآداب الحديثة وقد تحررت من القيود والتقاليد ولذلك راجت رواجا كبيرا ، وظهر النثر القصصى فى القرن الثانى قبل الميلاد عند اليونان ، وكان ذلك ذا طابع ملحمى حافلا بالمغامرات الغيبية وبالسحر والأمور الخارقة .

وظهرت القصة فى الأدب اللاتينى فى نهاية القرن الأول الميلادى مكسوة بطابع هجائى ثم تأثرت بعد ذلك بالقصة اليونانية فى نزعتها الملحمية وبذلك اكتست القصة طابعا خياليا جعل القصة الخيالية تسبق الى الوجود القصة التاريخية .

وفى العصور الوسطى ظهرت قصص ذات طابع شعبى متأثرة بالقصص الشعبى فى الأدب العربى ، ومن هذه القصص قصص الفروسية والحب ، وعلى الراجح فان هذه القصص العاطفية كانت أثرا من آثار اتصال الغرب بالشرق فى الحروب الصليبية وفى الأندلس مما هو صورة للحب عند العذريين العرب ، وصورة لما جاء فى كتاب « الزهرة » لأبى بكر محمد بن داود الأصفهانى ، وكتاب « طوق الحمامة » لابن حزم الأندلسى .

وفى القرن الخامس عشر الميلادى ظهرت قصص الرعاة ، وكانت أقرب الى الواقع من قصص الفروسية ، ثم ظهرت فى القرنين السادس عشر والسابع عشر قصص الشطار وهى قصص تمثل التقاليد والعادات للطبقات الصغيرة فى المجتمع .. ولعلها وجدت كذلك متأثرة بأمثالها من القصص فى الأدب العربى بما تمثله قصص

التنوخى فى كتابه « الفرج بعد الشدة » ونشوار المحاضرة » ، وقصص « المقامات العربية » التى اشتهرت بين الأدباء العرب فى أسبانيا .. وفى آخر القرن الثامن عشر وبتأثير الرومانتيكية نهضت القصة فى آداب أوربا ، وتطورت من قصص العادات والتقاليد السابقة الى القصص ذات القضايا الاجتماعية .. ثم نشأت بعد ذلك القصة الواقعية وذلك هو تطور القصة فى الأدب الغربى من أقدم عصوره »(٩) .

المهم أن نعرف أن للعرب فضل السبق على غيرهم فى نشأة القصة بمفهومها حتى فى القصص ذات الطابع الشعبى التى ظهرت فى العصور الوسطى عند الغربيين فقد ظهرت متأثرة بالقصص الشعبى فى الأدب العربى ومن هنا نستطيع أن نقول أن القصة فى الآداب الأوربية مدينة للعرب فى النشأة والتطور ، والى العرب يرجع الفضل فى التأليف فى فن القصة شعرا ونثرا ، كما كان لهم الفضل فى سائر الفنون .

فقد « عرف الأدب العربى نوعا من القصص كان معظمه شعبيا شغفت به الجماهير فى أرجاء العالم العربى كقصص ألف ليلة وليلة وقصة الظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة والزير سالم وغيرها »(١٠) .

---

(٩) راجع الأدب العربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ج ٢ ص٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(١٠) أسس النقد الأدبى عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوى ص٥٩١ .

وقد كان لظهور هذا النوع من القصص أثر فى الآداب الأوربية أتجهت أنظار الغرب اليها بالقراءة والدراسة تاره والاستفادة منها والسير على منوالها فى التأليف تارة أخرى يتضح ذلك تماما فى « الفابليو : (أى الخرافة الصغيرة) وهى حكايات شعبية شاعت فى فرنسا من منتصف القرن الحادى عشر الى أوائل القرن الرابع عشر وكانت تميل فى طابعها العام الى الملهاة وقد تحمل بعض الطوابع الخلقية أو الاجتماعية أو الواقعية أو النقدية او اليومية التى تعانيها الجماهير .

وقد استفاد هذا النوع من الآداب الشرقية العربية عن طريق كليلة ودمنة أثناء الحروب الصليبية .

ثم فى — قصص الحب والفروسية — وهى قصص يختلط فيها حس الفروسية بحس الحب وهنا يبرز دور العرب فى تلقى هذه الظاهرة الفنية والاشعاع من خلالها على أدب العصور الوسطى وعلى الرغم من أن اليونان عرفوا الحب وكانت له فى فلسفة أفلاطون بالذات مساحة غير منكورة الا أن العرب أنزلوا هذا الحب من سماء التجربة الى أرض الواقع وحصروه فى المرأة بعد أن كان شائعا لا يقتصر على المرأة وحدها وخلطوا حس الحب بحس الفروسية تحت وقع احساس الفارس بأنه مناط لحب الجميلات فأعطوا فى ذلك عطاء بلا حدود مما لم يعهد مثله فى الآداب الأوربية هناك .. ومن الثابت تماما أن هذا التحول فى فهم الحب وعلاقة الرجل بالمرأة تم على أثر اتصال

الغـرب بالشرق من خـلال الحروب الصليبية وعن طـريق العـرب في الأندلس »(١١) .

اذن فالعـرب هـم « البـدء البـادى» فى البعيد لهـذا الجنس الأدبى فى الأدب العربى ، والذى تطـور فصار فى (العصر الحديث) ظاهـرة حقيقية لهـا حلولها الفنى فى التـاريخ »(١٢) .

ومـع كـل ورغـم تفـوق العـرب فى هـذا المضمار فـان الأوربيين قـد أخذوا أصـول هـذا الفـن عن العـرب القـدامى وطوروهـا ووضعوا لهـا الضوابط والتقنيـة . « وقـد تطور التأثير بهـذا الفـن من قصص شبيهة بالمقامات العربية « كحديثعيسى بـن هشـام » المويلحى الى قصص اجتماعى مستفيد من تقنيـة الفـن القصصى العـربى « كليالى سطيح » لحـافظ ابراهيم .. الى قصص متـأثر بألف ليـلة والمقامات وقصـص الفروسية من حيث عنايته بالتعبـير والتطوير كقصـة (لادياس) لشـوقى »(١٣) .

ولمـا اكتمل للقصـة فى الأدب الأوربى الحديث عناصرها وأخذت شكلها الفنى أعجب بهـا أدباؤنا المحدثون وبلـغ هـذا الاعجاب الى حـد التـأثر « فمنذ أوائـل القـرن العشرين احتذت القصة العربية الآداب الأوربية بعـد أن تحـررت كثـيرا من أصولها العربية واقتربت من اشـكل الفنى للقصـة الحـديثة فتـأثر المنفلوطى بالرومانسية القصصية .. وحـاكى جورجى زيـدان والتـر سكوت فى القصـة

---

(١١) عن اللغـة والأدب والنقـد ، د. محمد أحمد الغزب ص١٧٨ .
(١٢) المرجـع السابق ص١٨٥ .
(١٣) المرجـع السـابق نفس الصفحة .

التاريخية ... والتزم أبو حديد قصص النزعة العاطفية والقومية ، وهيكل وطه حسين وتيمور الاتجاه الاجتماعى ، والعقاد والمازنى الاتجاه التحليلى وتوفيق الحكيم الاتجاه الانسانى ، ونجيب محفوظ الاتجاه الواقعى ، ومحمد عبد الحليم عبد الله الاتجاه الرومانسى وبديهى أن هذه الاتجاهات التاريخية والاجتماعية والتحليلية والانسانية والواقعية والميتافيزيقية والرومانسية لم تنحصر فى هذه الأسماء فقد خسرت الحياة الأدبية بأجيال من المبدعين الذين نوعوا على هذا اللحن أو ذلك كما وجد من بين هؤلاء المبدعين من خطا بهذه الاتجاهات فى طريق التطور خطوات هائلة استقرت بها على مشارق العالمية ان لم تكن قد اقتحمت بها على هذه العالمية أسوارها العالية بلا مبالاة »(١٤) .

أنواع القصة :

الأنواع القصصية المعروفة وهى :

١ — « الرواية وهى أكبر الأنواع القصصية حجما وترتبط بالفرار من الواقع وتصوير البطولة الخيالية وفيها تكون الأهمية للواقع ، وهى قصة مكتملة العناصر الفنية ، ووقائعها مستمدة من الخيال وهى أقرب شبها بالملاحم .

ومن الكتاب من يطلق الرواية مرادفة لكلمة القصة للدلالة على كل ما احتوى عنصر الخيال والأحداث والشخصيات »(١٥) .

---

(١٤) عن اللغة والأدب والنقد ، د. محمد أحمد الغزب ص١٨٥،١٨٦ .
(١٥) الأدب العربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ج ٢ ص٤٣٣ ، ٤٣٤ .

والرواية « أكثر الأنواع الأدبية فعالية فى عصرنا الحديث بالنسبة للوعى الأخلاقى ، وذلك لأنها تجذب القارىء لتدمجه فى الحياة المثلى التى يتصورها الكاتب كما تدعوه ليضع خلائقه تحت الاختبار »(١٦) .

والفرق بين الرواية والقصة يتضح فى أن القصة « تركز على تتابع الزمن وتسيير الأحداث فى قالب فنى غير مكتفية بجانب واحد فحسب أو قطاع واحد من قطاعات الحياة والاقتصار على حادثة واقعية من الحياة تنقلها وتعالجها كما يحدث فى فن القصة القصيرة بل انها تتسع فيها رقعة الأحداث ويأخذ الزمان والمكان صورة أشمل وأعم ، وهى تعتبر أرحب من حيث معالجتها لقطاعات متعددة »(١٧) .

وتختلف القصة عن الرواية أيضا فى أنها تهتم بتسلسل الأحداث ، يقول فورستر « تتسلسل أحداث القصة فى حلقات كحلقات فقرات الظهر أو كدورة الأرض تتموج أجزاؤها »(١٨) .

ومجال الرواية أرحب من مجال القصة اذ أن الرواية تتسع لتشمل كل الأحداث « والرواية تبسط — بصورة مفصلة — الحياة بكل تفاصيلها ، وجزئياتها فى سعة وامتداد وعمق

---

(١٦) عالم القصة — برناردى فوتو ، ترجمة د. محمد مصطفى هداره ص١٣٦ ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

(١٧) القصة عند عبد الحميد جودة السحار تاليف فاطمة الزهراء الموافى ص٥٩ ، ٦٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

(١٨) علم المحية الاردبس نيكول ، ترجمة د. دريني خشبة ، ص١٣٢ ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٣ م .

وتنـــوع واختلاف فتبـــدو الحيـــاة فيهـــا أكثر وضوحا ويدقق الروائى فيهـــا رســـم كـــل حـــادثة وكـــل شخصية بكثـــير من التعمق والتتبع لـــكل سلوكها ودوافـــع ذلك السلوك الداخلى عن طـــريق وافســـاح المجـــال للتعبـــير السلس المفسر والمفصـــل .

ولا تعتمـــد الرواية على عنصر الزمن فحســـب لتوسيع رقعـــة الأحداث ، بـــل ان الروائى يعتمـــد على عناصر فنيـــة أخـــرى تتفاوت أهميتهـــا وتختلف باختلاف وجهـــات نظـــر الكاتب واتجاهاته وأفكاره الخاصة وطريقة عرضـــه الروائية اذ بـــدأ الروائيون فى العصر الحديث يتحللون من عنصرى الزمـــان والمكان بصورة واضحة ، وأخذوا ينطلقون داخـــل النفس البشرية ذلك العـــالم غـــير المحدد الزمـــان ولا المكان .

ويعـــالج الروائى فى الرواية موضوعا كـــاملا فتزخر الروايـــة بهـــذا بحيـــاة كاملة لجيـــل من الأجيـــال أو أكثـــر كمـــا فى روايات بعض الكتـــاب العالميين كالحرب والسلام لتولستوى وروايات كتابنـــا العـــرب كرواية الثلاثية « لنجيب محفـــوظ .. » فمجـــال الروايـــة فســـيح ومتسع للتفصيل أكثر ممـــا يتـــاح للكاتب فى مجـــال القصة أو الأقصوصة »(١٩) .

وفـــرق أيضـــا بين الرواية والقصـــة القصيرة « وبينما تتـــألف الرواية بالضرورة من تسلسل متصـــل فى فصولها المختلفة نجـــد أن

---

(١٩) القصـــة عند عبد الحميد جـــوده السحار ـ فاطمة الزهـــراء الـــوافى ص٦٠ ، ٦١ .

القصـــة القصيرة تستطيع أن تتجنب هـــذه الضرورة وأن تعمل بحسب ما يتطلبه الشعور الذى تعبـــر عنـــه »(٢٠) .

٢ ــ أمـــا النوع الثـــانى من الأنواع القصصية ، فهو الحكاية : « وهى ســـوق واقعـــة أو وقـــائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيهـــا الحـــاكى قواعـــد الفـــن الدقيق »(٢١) .

فالحكاية تعتمـــد فى المقـــام الأول على سوق الوقـــائع بدون النظـــر فى قواـــد اللغـــة أو الالتفات الى قواعد الفـــن الدقيقة فتأتى مجـــردة من الحبكة والتى ليس بهـــا حـــركة بشرية كافيـــة ولا عامل محـــرك تجعلهـــا تدخـــل فى نطـــاق القصـــة القصـــيرة الحقيقية ، « وكثـــيرا ما استعمل مصطلح الحـــكاية TELE للدلالة على نـــوع من الســـرد القصصى تقريبـــا ســـواء كـــان هـــذا الســـرد من النوع الخيـــالى أو من النـــوع الذى يتنـــاول أحـــداثا وقعت بالفعـــل .. وهـــذا المصطلح عـــامة يـــدل على ســـرد مبـــاشر مجـــرد من بنـــاء مـــنى دقيق يحكى أحـــداثا غريبـــة .

ومن ضمن الأنواع الأدبيـــة المعروفة التى تدخـــل فى مجـــال « الحكايات » نجـــد المـــآثر وهـــو نـــوع أدبى يحكى أعمال مغامرات وهنـــاك أيضـــا نـــوع القصة الشعرية وهى حكاية شعرية تغنى وغالبا ما تكـــون ذات الطـــابع الشعبى الرومانتيكى ، وكـــذلك نوع الحكايات

---

(٢٠) القصـــة القصيرة ، تأليف ايـــان رايـــد ، ترجمة د. منى مؤنس ص١٢١ ، الهيئة العـــامة للكتاب ١٩٩٠ م .

(٢١) الأدب العـــربى الحـــديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعـــم خفـــاجى ص٤٣٤ .

الأسطورية أو حكايات الجـان .. ثم الحكاية المطـولة .. والحكاية المطـولة عبـارة عن نـادرة أو سلسلة نـوادر محكمة فنيـا تحكى باللغـة العامية ولهجتهـا العادية تلائـم راويـا يروى قضـة ضمن بـراث شـفوى .. »(٢٢) .

٣ — ومن الأنواع القصصية أيضـا — القصة القصـيرة — . وهى « تختلف عن القصة بوحـدة الانطباع وغالبا ما تحقق الوحدات الثـلاث التى عرفتهـا المسرحية الفرنسية الانكليزية فهى تمثل حـدثا واحـدا فى وقت واحـد وزمـان واحـد قـد يكون أقـل من ساعة والقصـة القصـيرة حديثة العهـد فى الظهور وهى أكثـر الأنـواع الأدبيـة رواجـا وأشهر كتابها الان بـو الأمريكى ومن أشهر كتابها فى أدبنـا : المـازنى ، ومحمد تيمـور ، ومحمود تيمـور ، ومحمـود تـزى ، وحسن محمـود ، ولاشين ، وابراهيم المصـرى .

والقصـة القصيرة تهـدف الى تصوير حـدث متكامل لـه بداية ووسـط ونهـاية بحيث تقـوم بينها عـلاقة عضـوية »(٢٣) .

والقصـة القصيرة فى الغالب أكثـر الفنون الأدبيـة الحديثـة انتشـارا بين القـراء وذلك لأنهـا تنتشر فى دوريات مختلفة الأنواع وكـذلك فى كتب — ونجـد أن الذين يكتبونها ليسوا كتـاب التسلية ،

---

(٢٢) القصـة القصيرة تاليف آيـان رايـد ، ترجمة د. منى مـ نس ص٦٨ ، ٦٩ .

(٢٣) الأدب العـربى الحديث ومدارسـه ، د. محمـد عبد المنعـم خفـاجى ج ٢ ص٤٣٤ .

فحسب بل هناك أيضا عدد كبير من الروائيين المعروفين لجأوا لهذا الفن الأدبى .

أما من حيث نعتها بهذه الصفة « قصة قصيرة » فهو لم يحدد بعد ما هو الذى يقصد بطويل أو قصير ولم يحدد أيضا التقصير والتطويل المسموح بهما فى هذا الضرب الأدبى ومن الممكن « أن نقول انه جرى العرف بأن تسمى تقريبا جميع الأنواع القصصية النثرية التى هى أقصر من رواية باسم قصة قصيرة .. أما الحد الأقصى للقصة القصيرة فليس بأمر واضح ويرتبط هذا التحديد بأهمية وجهة النظر الأساسية سواء ان كانت وجهة النظر للمؤلف أو للقارىء أو لشخصية وسيطة . وقال بو : فى هذه النقطة : ان الحكاية هى ما نستطيع أن نقرأه فى جلسة واحدة ومن الممكن أن نعتبر كلمة « حكاية » هنا مرادفة لمصطلح القصة القصيرة .. »(٢٤) .

ومن أهم ما يميز القصة القصيرة عن بقية الأنواع القصصية المعروفة هو أنه فى « مجال القصة القصيرة يكون القاص مكتفيا بالاهتمام بحادثة معينة دون التفصيل فى ذكر نتائجها ودوافعها ومقدماتها ولا يهتم القاص فيها بالوقوف على باطن الشخوص وسبر أغوارها وفيها يجب أن تكون الفكرة (منطوية ضمن التركيب ذاته وتصبح جزءا ما فى العمل كله مثلها مثل الأشخاص والحوادث) .

---

(٢٤) القصة القصيرة ، تأليف آيان رايد ، ترجمة د. منى مؤنس ص٢٤ ، ٢٥ .

وتقـوم القصـة القصيرة على عنـاصر هـامة منها الفـكرة والحـدث ولحظـة التنوير ، وهى تحقق هـذه العناصر بشكل فـنى متكامل ، انمـا يكون وقعهـا أكثـر تأثيرا فى النفس وأكثـر تلمسـا لمشكلات الواقـع والتعبير عنهـا بشكل يؤثـر بطريق أسرع »(٢٥) .

والقصـة القصيرة تصـور المجتمع وتعبـر عن أشكال البيئـة وتلاءم أحداث العصـر فهى « الوسيلة الطبيعية للتعبير عن الواقعية الجـديدة التى لا تهتـم بشىء أكثـر من اهتمامها باكتشاف الحقائق من الأمـور الصغيرة العـادية المـألوفة »(٢٦) .

٤ ـ الأقصوصـة :

أمـا الأقصوصة فهى « أقصـر من القصـة القصيرة وتقـوم على رسـم منظـر كمـا يصنع يوسف ادريس فى أقصوصاته »(٢٧) .

والأقصوصة رغـم قصرها الا أنهـا قـد توفرت لهـا عنـاصر من الأقصوصة التى تتمثـل فى الحـدث أولا وفى الشخصيات ثانيـا كمـا يتضـح ذلك فى فـن الأقصوصة عند عبد الحميد جـودة السحار فقـد « توافرت عناصر الحدث ومقوماته فى بعض أقاصيص السحار .. ففى أقصوصة « خطيئـة ودم » وضحت بدايتهـا ووسطها ونهايته

---

(٢٥) القصـة عند عبد الحميد جـودة السحار ، تاليف فاطمة الزهراء موافى ص٦١ ، ٦٢ .

(٢٦) القصـة القصيرة ، د. رشـاد رشـدى ص٩ ، القاهـرة ، الطبعـة الأولى ١٩٦٦ م .

(٢٧) الأدب العـربى الحديث ومدارسه ، د. محمـد عبد المنعـم خفـاجى ص٤٣٤ .

التى أراد السحار بهـا أنهـاء هـذا الحـدث ... كمـا يركز السحار فى أحـداث أقاصيصه على شخصيات معينـة وصـفة التركيز هـذه من أساسيات فـن الأقصوصة ، .. ويتضح هـذا فى شخصية « استر » التى أطـلق السحار اسمها على احـدى أقاصيص هـذه المجمـوعة فاستر هى الشخصية الرئيسية التى دار حولهـا الحـدث .. »(٢٨) .

وقـد تطول الأقصوصة وهـذا الطول لا يخـل بفنيتها ولا يفسد ابداعهـا وروعتها وقـد تحـدث الدكتور عـز الدين اسماعيل حول طـول الزمن فى الأقصوصة موضـحا أن هـذا الطـول لا يخـل بعناصر الأقصوصة فيقـول : « فالقصـة القصيرة من الممكن أن تجتاز بالقارىء فتـرة زمنيـة طويلة ، كمـا تصنع الرواية ، ولكن يحـدث الفـرق هنـا فى طريقة العـرض فالتفصيلات والجزئيات التى تمـلأ كـل يـوم وكـل سـاعة فى تلك الفتـرة الزمنية لا حـاجة لكاتب القصـة لهـا ، بـل أنـه يجتـاز كـل شىء لينتقل مباشرة من لمسة من لمساته للموضوع الى أخـرى مجتـازا بذلك من الزمن فتـرة قـد تطـول وقـد تقصـر »(٢٩) .

تختلف الأقصوصة كثـيرا عن القصة « فالأقصوصة شىء آخـر غـير القصـة فليست الأقصوصة « قصـة قصيرة » وتسميتها هـكذا قـد توجـد شـيئا من اللبس ولعـله أولى أن نصطلح فى اللغـة

---

(٢٨) راجـع القصـة عند عبد الحميد جـودة السحار ، تأليف فاطمة الزهـراء المـوافى ص٢٦٢ : ٢٦٥ .

(٢٩) الأدب وفنـونه ، د. عـز الدين اسماعيل ص٢٠١ ، دار الفكر العـربى ، الطبعة السادسة ١٩٦٦ م القاهـرة .

العربية على تسمية القصة « رواية » لبعد ما بين اللفظين من الاشتباه ليست الأقصوصة قصة قصيرة وحجم الأقصوصة ليس هو السمة التى تعين طبيعتها فالاختلاف بينها وبين القصة لا يقف عند حجمها انما يتعداه الى طبيعتها ومجالها »(٣٠) .

وفى شىء من الوضوح تستطيع التفرقة بين القصة والأقصوصة لا من حيث الحجم فقط ولكن من حيث المعالجة للأحداث وطريقة العرض لها ومن حيث توافر العناصر الفنية لكل منها والسمة الغالبة فيهما .

فمن حيث المعالجة للأحداث ، تعالج القصة فترة من الحياة كل ملابساتها وجزئياتها واستطراداتها وتشابكها وتصور شخصية واحدة أو عدة شخصيات فى محيط راسع فى الحياة ... أما الأقصوصة فتدور على محور واحد فى خط سير واحد ولا تشمل من حياة أشخاصها الا فترة محدودة أو حادثة خاصة أو حالة شعورية معينة ..

ولابد فى القصة من بدء ونهاية للحوادث لتصل الى غاية مرسومة أما الأقصوصة فلا يشترط لها بدء ولا نهاية من هذا الطراز فقد تصف حالة نفسية اعترت شخصا ما فى لحظة ما فاذا صورتها صورة مؤثرة موحية فقد انتهت مهمتها ولقد تعالج الأقصوصة حادثة ذات أثر معين فى حياة معينة

---

(٣٠) النقد الأدبى اصوله ومنهجه ، د. سيد قطب ص٨٠ ، دار الشرق ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .

فيكون لها بدء ونهاية .. ولأن الأقصوصة تعتمد على قوة الايحاء والتصوير .. كان من الضرورى أن تتبع طريقة أداء قوية موحية منذ اللحظات الأولى .. وقد تبلغ الأقصوصة فى الايحاء والتأثير السريعين القويين ما تبلغه القصيدة وتصنع بالنفس فى نهايتها الى شعور مطلق مبهم تنسى فيه أحداثها الجزئية ومعانيها التفصيلية كما تصنع المقطوعة الجيدة من الشعر أو الموسيقى(٣١) .

٥ ـ أما النوع الخامس من الأنواع القصصية فهو القصة :

والقصة : هى التعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها . كما تمر فى الزمن ممثلة فى الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية »(٣٢) .

أو هى « حكاية تعتمد على السرد والوصف وصراع الشخصيات بما ينطوى عليه ذلك من تخلل عنصر الحوار لهذا الجدل الدائر بين الأشخاص والأحداث »(٣٣) .

أما من حيث حجم القصة فانها « تتوسط بين الأقصوصة والرواية ويحصر كاتب الأقصوصة اتجاهه فى ناحية ويسلط عليها خياله ويركز فيها جهده ، ويصورها فى ايجاز وكتابة الرواية تستلزم خبرة بالحياة واسعة ولا يحفل كاتبها بايجاز أو اقتصاد

---

(٣١) النقد الادبى ؛ د. سيد قطب ص٨٠ : ٨٢ .
(٣٢) المرجع السابق ص٧٣ .
(٣٣) عن اللغة والأدب والنقد ؛ د. محمد أحمد العزب ص١٧٧ .

من حيث يضطر كاتب الأقصوصة الى التدقيق فى الاختيار وقد تعنى القصة عناية خاصة بالحادثة أو بالشخصية »(٣٤) .

والقصة دونا عن بقية الأنواع القصصية المعروفة « تحاول أن تقف على كثير من جزئيات الواقع ومشكلاته لتعالجها وتضع لها الحلول المناسبة »(٣٥) .

فالقصة وسيلة من وسائل تصوير المجتمع والواقع يعمل صاحبها على عرض مشكلات المجتمع وبسطها ثم ايجاد الحلول التى يراها مناسبة لها والتى تتفق مع وجهة نظره .

وبعد ـ فهذه هى أهم الأنواع القصصية المعروفة فى الأدب والتى تعد بحق أرقى الفنون الأدبية مع مراعاة عناصر الابداع الفنى فى كل نوع منها ومهما كان الاختلاف فيما بينها الا أنها تتفق فى تصوير حوادث الحياة وعرض مشكلات الواقع والمجتمع مع وضع الحلول المناسبة لها .

عناصر القصة الفنية :

لابد لكل قصة فنية من عناصر ترتكز عليها ويقوم عليها بناؤها ومن هنا فان عوامل الابداع الفنى للقصة تتواكب لتعمل عملها فى بناء الفن القصصى وحتى تأتى القصة مكتملة الجوانب

---

(٣٤) الأدب العربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ج ٢ ص٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٣٥) القصة عند عبد الحميد جودة السحار ، تأليف : فاطمة الزهراء الموافى ص٦٢ .

الفنيـــة تكتمـــل فيهـــا سمات الابداع وهـــذا ما يســـاعد على رقى القصـــة والنهوض بهـــا .

أمـــا عناصر القصـــة الفنية فهى « المـــادة » وهى الحـــادثة ، و الحكاية ، والشخصية والصـــراع وزمـــان القصـــة ومكانها والفكرة والعقـــدة أو المشكلة والســـرد والبنـــاء »(٣٦) .

وهنـــاك عنصر آخـــر بالاضافة الى العناصر السابقة لابـــد منه للقصـــة وهـــو الأسلوب فالقصـــة ليست هى مجـــرد الحـــوادث أو الشخصيات ، انمـــا هى ـ قبـــل ذلك ـ الأسلوب الفـــنى أو طريقة العـــرض التى ترتب الحـــوادث فى مواضعها وتحـــرك الشخصيات فى مجالهـــا بحيث يشـــعر القـــارىء أن هـــذه حيـــاة حقيقية تجـــرى وحـــوادث حقيقية تقـــع وشخصيات حقيقية تعيش ، وهـــذا يتضمن :

أولا : ترتيب الحـــوادث بحيث تجـــرى كمـــا لو كانت تجـــرى فى الحيـــاة بلا عمـــل أو افتعـــال .

ثانيـــا : صحة رسم الشخصيات بحيث تتضـــح سماتها وملامحها وكلمـــا وضحت السمات والملامح كاملة من الخارج والداخل كـــان ذلك أتمـــل ولكل قصاص طريقته فى رســـم الشخصيات وليس المهـــم هو نـــوع الحـــادثة وضخامتها ولا لـــون الشخصية وعظمتها فالحيـــاة تجـــرى بالجميع انمـــا المهـــم هـــو الطريقة : طريقة تناول الموضوع والســـير فيـــه ... »(٣٧) .

---

(٣٦) الادب العـــربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى جـ ٢ ص٤٣٥ .

(٣٧) النقـــد الأدبى أصوله ومنهجـــه ، د. ســـيد قطب ص٧٥ ، ٧٦ .

فالأسلوب الفنى المتمثل فى طريقة العرض وذلك بترتيب الحوادث ووضع كل حادثة فى مكانها الطبيعى اللائق بها وعدم التداخل فيما بينها مما ينتج عنه الخلط والتشويش مع ملاحظة عنصرى الزمان والمكان فتأتى الأحداث مطابقة تماما للتاريخ الذى وقعت فيه والمكان الذى حدثت عليه تلك الوقائع كل ذلك لابد منه للفن القصصى الراقى والقصصى الفنى الناجح الذى يأخذ بألباب المتلقين ويشد انتباههم ويعرض مشاكل الواقع والمجتمع ويختار لها أنسب الحلول والعمل على حلها .

بقى عنصر آخر له وزن فى القصة وهو القيمة الشعورية - بالاضافة للأسلوب الفنى فى العرض وطريقة التعبير - فهناك الآفاق الشعورية التى يرتفع اليها الموضوع والتى تصور فى ظلها الحوادث والشخصيات . هناك نوع الاحساس بالحياة حوادثها وأشخاصها مصائرها وغاياتها ، هناك الزاوية التى يطل منها القصاص على هذا العالم والأشعة التى يراه على ضوئها ، هناك المدى الذى يتعمقه القصاص فى النفس الانسانية وفى الحياة من حولها وفى الكون وما فيه ومن فيه ... ومن هنا تختلف الآفاق التى يبلغها القصاص .

ولاشك أن للقيم التعبيرية - طريقة العرض وطريقة التعبير - فيمتها فى تحديد القصة ولكنها وحدها لا تستقل بالتقويم ، ولابد من النظر الى هذه الآفاق الشعورية ومدى مطابقة القيم التعبيرية لها »(٣٨) .

---

(٣٨) النقد الأدبى اصوله ومنهجه ، د. سيد قطب ص٧٧ .

وقـوام كـل عمـل أدبى هـو مطابقة قيمـه التعبيرية لقيمـه الشعورية ومناسبة استخدام الأداة لطبيعة العمـل الذى تستخدم فيه واتجـاهه « والقصـة تهدف الى تصوير الحيـاة فى محيطها الطبيعى وفى هـذا المحيط تختلف الأجـواء والحـالات الشعورية »(٣٩) .

ولابـد فى بنـاء القصـة من مطابقة القيـم التعبيرية مع القيم الشعورية وبهـذا تكتمل للقصـة عناصر الروعة وسمات الابداع .

وكـل قصـة اكتملت فيهـا كل هـذه العناصر وتوافرت فيهـا هـذه السمات كانت قصـة فنيـة استحقت أن يطلق عليهـا اسـم القصـة وكان كاتبهـا فى مكان أسمى ومنزلة أرفـع وأسمى واستحق أن يطلق عليـه اسـم الأديب القصاص .

أمـا اذا جـاءت القصة عـارية من هـذه العناصر خاليـة من تلك السمات ، فقـد خرجت من دائـرة القصـة ومن محيط الابـداع بـل هبط بهـا الى عـالم الثرثرة ورص الألفـاظ لا تتجاوز أن تكون مجموعة كلمـات أو مجموعة من الأساليب التى قصـد بهـا صاحبها أن يصـف مشاعره بدون هـدف أو غـاية وهـو فى هـذا ليس أديبا بـل يدعى الأدب وقـد نسى بعض مدعى الأدب عنـاصر القصـة الفنية فكتبوا خرافات تحت هـذا الاسم الأساس فيهـا أنهـا لا تفهم بـل أرادوا من ورائهـا الشهرة الزائفة لتى لا تنبنى على دراسـة أو أسس وهـذه الشهرة لا تطـول وهـذا النجـاح لا يـدوم .

---

(٣٩) المراجـع السابقة ص٨٠ .

بين يـدى الابـداع القصـصى

الابداع فى كـل شىء ابتكـار يؤدى فى النهـاية الى أن يقـول القـارىء أو النـاقد هـذا عمـل جـديد وان اتسـم بالصـفات الأكاديمية للعمـل الأدبى .

فالشخوص مرايـا للمجتمـع والمواقف أشـبه ما تكون بالنسيج الذى يـراه الراءون وقـد صـنع فى بلد العبقرية لا تمـوج فيـه ولا أمتـا والصراع يدور فى نفس القـارىء قبـل أن يدور فى نفس القصـة ، الأمـر الذى يجعلنا نحـكم بظاهرة الابداع فى العمـل القصصى والقـاص المبـدع لا يختلف كثـيرا عن الشـاعر المبـدع ولـن يكون الشـاعر مبدعـا مع غمـوض ألفـاظه وخفـاء أغراضه والتـواء الأسلوب عليـه وانمـا يكـون مبدعا اذا اتسـم أسلوبه بالفصاحة وتجـلى الخيـال فى تضاعيف أبيـاته وتدفقت العاطفـة سـلالا يأخـذ القـلوب ويسبى النواظـر الحالمة .

ويمكننا أن نضـع عنـاصر للابداع القصصى كمـا يأتى :

١ ـ وضـوح الشخصية :

الشخصية فى العمـل القصصى عمـاد أساسى اذ أنهـا المحرك للأحداث المتلقى للصـراع المنفعـل بالمواقف واذا أجـاد القـاص وأبـدع خـلق من هـذه الشخصية رمـزا لـكل شخص فى المجتمع ويجـد فيهـا نفسـه أو أخـاه أو صديقه أو جـاره أو أى انسـان

لـه بـه صـلة أو معلق عليـه بسبب ، والشخصية كمـا نعـلم امـا أن تكـون أساسية (البطـل ومعـاونوه) وأمـا أن تكـون ثانوية ويتجـلى الابداع فى رسـم الشخصية الثانوية اذ بامكان الكـاتب المبـدع أن يجعـل من هـذه الشخصية الثانوية شخصية محـورية تؤدى دورهـا ولا تكـون بمعـزل عن أحـداث القصـة الأساسية فنقـرأ مثـلا لـه شخصية (كالجرسون) فنعشقه وتدرى الى أى مـدى تلعب هـذه الشخصية دورا كبـيرا فى العمـل القصصى فالكاتب المبـدع يضفى عليهـا ظـلالا لا من روحـه وصـورا من خيـاله تظهـر فى كلمـة على لسـانه تتناسب والموقف الذى يعيشـه البطـل او انحنـاءة من رأسـه تبين مـدى عظمـة البطـل ورسـوخ قدمه فى الحيـاة الاجتماعية والقهـوة السـادة التى يضعها أمامه رمـزا للأحـزان الكامنة فى صـدر ذلك البطـل أو مسحة حـزن على وجهه ترينـا أن الكون كلـه حـتى المنتفعين محزونون من أجـل حـزنه والعكس بالعكس فضـلا عن سـرده لأحـداث تتعلق بتلك الشخصية انقانونية ولهـا عـلاقة بالشخصية المحـورية الأساسية .

٢ ــ تتبـع المواقف وتسلسلها :

فـرق كبـير بين الخبـر والموقف فالخبـر جمـلة تنقطـع عمـا سواها فأنت تجـد خبـرا فى الصحيفة يحمـل أنبـاء حـرب وفى الصفحة نفسها تجـد خبـرا يـزف بشرى سـلام فى صـفحة تهنئـة بزفـاف وفى الصفحة المقابلة نـعى وعـزاء تلك جمـلة من الأخبـار تعمى عيـون الناقدين عن قولهم أين التناسب ؟ وذلك لأن المجـال مجـال سـرد الأخبـار دون انتبـاه لوحـدة شعورية بينها

أو علاقة تربط بينهـا ، أمـا الموقف فهـو جمـلة من الأحداث تتصل ببعضها اتصـال أنسجة الجسـم ببعضها وكلهـا تتحرك فى ملك واحد هـو الشخصية .

والقصـة المقـروءة بين الابداع والتخريف تكـون حكمـا من حـلال مواقفهـا على ابداع كاتبهـا أو تخريفه فـاذا قرأت القصـة ولـم تستطع أن تتركهـا حتى تفـرغ منهـا فذلك الابداع لأن كـل جـزء منهـا يشـدك الى أخيـه ، فتأخذك المواقف وتحرك الأحـداث وتجذبك الصراعات فتعيشها حتى تفـرغ منهـا وان قرأتها وبـدا لك أن طرحهـا خـير منهـا والانصراف عنهـا أفضـل من الاقبال عليها حيث أنك تجـد نفسك فى بحـر لجى من مواقف متفـرقة وأحـداث غـير مترابطة وشخصيات غامضـة وأخبـار مبهمـة كـان الخـير لك أن تهملـا وأن تحـكم على كاتبهـا بالتخـريف .

٣ ـ العقـــدة :

والعمـل القصصى يفتقـر فى بنـائه الى عقـدة تجعل شـكله وترسـخ مضمونه وتقف بنفس القـارىء على لـب المشكلة التى أراد الكاتب أن يعالجهـا من خـلال قصـته .

وبعـد العقدة تأتى لحظـة التنـوير التى تكون بمثـابة شعاع الفجـر الأول الذى يسـبق النـور الصادق ليتضح النهـار ويرحل الظـلام الى حين فـاذا قـرأت القصـة وبـدا لك أنهـا تسـير على وتـيرة واحـدة بلا عقـدة أو تنـوير فأنت تقـرأ كـلاما لتلميذ مازال يحبـو على طـريق الدراسة والتعـلم الا أن التلميذ يمكنك أن

تصفه بالضعف وقلة الحيلة وضعف الزاد وقلة المورد لكنك لا تستطيع أن تصف ذلك الكاتب بغير التخريف •

هذه أهم ملامح الابداع ومظاهر التخريف فى الأركان الأساسية للعمل القصصى •

أما الظلال التى تساند الأركان الأساسية من زمان ومكان ووصف وأسلوب وسرد وحوار وهى مكملات يتم بها العمل القصصى فالحديث عنها لا يختلف من الابداع عن التخريف حيث أن الحجرة مكان ويوم السبت مثلا زمان ولكن من فى الحجرة وماذا يفعل ذلك مناط الابداع والتخريف فالمكان لم يختلف وانما يختلف فيه الشخص والموقف فهناك فرق بين من يصلى فى الحجرة ومن يمارس السحر فيها غاية ما هنالك أننا يمكننا أن نقرر أن مناط الابداع يكون فى توظيف الشخوص والمواقف وعقد المشكلة وابراز حلها توظيفا يجعل الناقد البصير يحكم على العمل القصصى كله بالجدة واعمال الذهن وتسخير الموهبة •

وسوف نعرض نموذجين أولهما فى الابداع والثانى : خلا منه ، أما نموذج الابداع فسنكتفى فيه بالاشارة الى القصة دون ذكرها لأن المجال لا يتسع لذلك فضلا عن شهرة هذه القصة فى دنيا الأدب والناس وانما نكتفى بالتعليق لنبين واقعا وهى حقيقة ألا وهى الثلاثية لنجيب محفوظ •

ومع كل فسوف نعرض لشخصيات الثلاثية وعناصر الابداع فيها لنضع بين يدى القارىء صورة تجعلها قريبة من ذهنه

حتى يسهل عليه المقارنة بين القصة التى توفرت فيها عناصر الابداع والقصة التى خلت منها .

فاذا نظرنا الى الثلاثية التى تقع فى ١٢٠٠ صفحة وجدناها تحكى حياة أسرة مصرية منذ مطلع القرن العشرين حتى اليوم ومن خلالها ترى مصر بكل أحداثها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبكل مقوماتها الثقافية والفكرية وبكل قيمها وتراثها وتاريخها فى نسيج عريض متكامل ينبض بالواقع الحى وبالتاريخ .

وتبدأ الرواية بالسيد أحمد عبد الجواد التاجر الناجح . الرجل الذى يحكم أسرته من خلال التقاليد الشرقية الصارمة بيد من حديد .. وهو فى المنزل الرجل الصالح المهيب ، وفى ندواته الخاصة فى الليل النديم الرقيق والجليس الأنيس حيث يجتمع مع صفوة من أصدقائه وبعض الراقصات وتسير به وببيئته الحياة فيكبر ابنه ياسين ليصبح صورة من أبيه وان لم تكن له حكمته فهو مندفع وراء شهواته .. ويتبعه الابن الأوسط « كمال » الذى يتجه نحو الثقافة الحديثة ويقرأ لداروين وأمثاله فيباعد هذا بينه وبين بيئته ويصيبه هذا الانفصال بالكثير من الحيرة والتعاسة والسلبية والجمود فى النهاية وبخاصة بعد أن يفشل فى علاقة عاطفية ويندفع الابن الأصغر فى تيار الوطنية حتى تصرعه رصاصة من رصاصات الانجليز .

وتتزوج الابنتان عائشة وخديجة من أخوين مما سلالة عائلة تركية قديمة يعشان على ايراد من عقار .. حياة كلها كسل وتراخ .

ويظـل هـذا الجيـل فى الأسرة يتخبط بين الرغبـات والتقاليد وبين الواقـع والتطلعات وبين التـراث والثقـافة الحديثة وبتحـدد النمـوذج فى « يس » الشهوانى المندفـع و « كمـال » المثقف الحائر السلبى المنطـوى •

وتنجب البنتـان وينجب « يس » ويكبـر الجيـل الثـالث من هـذه الأسـرة فتـرى ولدين من أولاد خديجة أحدهما يندفـع فى تيـار الاخـوان المسلمين والآخـر ينضـم الى الداعين الى المبادىء المتطـرفة •

ويقدم نجيب محفوظ حيـاة الأخوين من خـلال هـذه التيارات وينتهى بهمـا الى أنهمـا وان كـانا قـد عبـرا المرحلة التى وقف عندهـا خالهما « كمـال » من السلبية والانطـواء الا أنهما لم يجـدا أنفسهما ولم يحققـا التكامل المنشود بين الثقافة والحياة الاجتماعية • انمـا هى اضطرابات وتطلعـات ممـا تعانيه غالبـا الطبقة الوسطى والصغيرة ويصـر نجيب محفوظ على أن يكـون البطـل الخـالد فى رواياته هـو الزمن ومن خـلال هـذا الزمن تنشـأ وتذوب العقائد والتقاليد والقيـم والعـادات •• ومن خـلال هـذا الزمن تتكـون القيـم والمفـاهيم الجـديدة »(٤٠) •

الابداع فى ثلاثية نجيب محفـوظ ناشىء من الواقعية التى تعتبر وبحـق من أهـم العناصر والمكونات للرواية وذلك بالاضافة الى توافر

---

(٤٠) راجـع الأدب العربى ومدارسه ؛ د. محمد عبد المنعـم خفاجى ج ٢ ص٤٥١ : ٤٥٣ •

عناصر القصة الفنية من زمان ومكان والأحداث والشخصيات والعقدة والحل ولحظات التنوير وما الى ذلك من سمات الابداع الفنى .

والرواية فى حد ذاتها نموذج قصصى هادف يضع أيدينا على صورة من الصور الاجتماعية التى كانت سائدة فى وقت من الأوقات .

وفى شىء من الانصاف لصاحب هذه الرواية نعرض آراء النقاد حول تحقق الواقعية فى الثلاثية مع عامل الزمن الذى يصدر عناصر الابداع فى القصة ولحم هذا الزمن هو نسيج الواقع الحى بكل وقائعه ولهذا حرص نجيب محفوظ على أن يقدم لنا الواقع بكل تفاصيله .. من خلال هذا الواقع تأخذ الحياة معناها ومبناها وينسج التاريخ خيوطه ومع ذلك فقد اختلف النقاد حول واقعية نجيب محفوظ فذهب بعضهم الى القول بأنه ليس كاتبا واقعيا على الاطلاق وحجتهم فى ذلك أن الرجل يقدم نماذج بشرية فريدة قد لا يسهل العثور عليها فى الواقع فهى أقرب الى الرومانسية فى تقديم هذه النماذج « المثالية » فى تصويرها النمطى وان كان يشبه الى حد بعيد « أميل زولا » فى مذهبه الطبيعى » .

والاشكال هنا ناجم عن محاولة « صب » انتاج هذا الكاتب القصصى فى قالب مجرد من القوالب الفنية التى تعارف عليها النقاد فى الصور الحديثة ويبدو أن فى هذا اجحافا بالرجل فمما لاشك فيه أن نجيب محفوظ كاتب واقعى .. وهذا لا يمنعه

مادامت المقتضيات الفنيـــة تتطلب ذلك أن يستخدم أكثـــر من أسلوب فـــنى فى الوصول الى التعبـــير الذى يريـــد والصورة الفنيـــة التى يهـــدف اليهـــا .

والواقعية عند نجيب محفـــوظ واقعية مهـــذبة ليست تصـــويرا جـــامدا للواقـــع وانمـــا هى رؤيـــة الواقـــع فى مجـــاله العريض ومن خـــلال حركته التاريخية الشاملة بحيث ترتبط الصورة والدلالة والحدث والهـــدف هـــو الذى جعـــله يحـــرص الحـــرص كلـــه على أن يقدم صـــورة تفصيلية متساوية لكل من الواقـــع المـــادى والواقـــع النفسى مع ما يتطلبه هـــذا من قدرة فنيـــة خارقة وتملك لزمام الصنعة »(٤١).

وأمـــا النموذج الثـــانى وهـــو النموذج الذى خـــلا من عناصر الابداع ، فقصة تحت هذا العنوان « كائنات ليلية لمحور سليمان »(٤٢).

تلخيص مضـــمون القصـــة :(٤٣)

يبـــدأ الكاتب قصـــته بأنه لـــم يذهب الى هنـــاك « ولا أحـــد يدرى ما هنـــاك ؟

ويحـــدث مخاطبه عن الطـــريق والشوارع المظلمـــة ، وأنـــه كان

---

(٤١) الأدب العـــربى الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجى جـ ٢ ص٤٥٣ .

(٤٢) مجـــلة العربى العـــدد ٤١ السنة الســـادسة والثلاثون ـــ فبراير ١٩٩٣ م ـــ شعبان ١٤١٣ هـ ، ص٨٠ ـــ ٨٤ .

(٤٣) مجـــلة العـــربى العدد ٤١١ فبراير ١٩٩٣ م ، ص٨ .

بخطـو بخطـواته المتعجلة الى هنـاك وبذلك يكون فى الجانب الآخـر بعيدا بعض الشيء . ويتعجب ممـا حدث : لقـد نزل هـو وآخرون الى النهـر وكـان الليـل والسكون وامتداد البصـر ونسمة الهواء من عـوامل الفلسفة ، فـأية فلسفة يدرى ؟

ويطرح علينـا ألف سـؤال تبـدأ بقوله « هـل كنا خائفين ؟. ولا ندرى من أى شيء كـان يخـاف وهن كـان فى زمـرة خـوفه أهـم أصدقاء الطفولة ؟ أم الأحبـة الذين تجمعـوا ؟ لـم يكشف بعـد عن جـواب ولـم يشـر الى لحظـة تنوير تريح العقـل من معـاناة الفـكر فى قضـايا طرحهـا وتركها معلقـة دون أدنى اشارة الى جـواب ، ويخاطب ذلك المجهـول بأنـه كـان يقـرأ فى كتب الجـن والعالم الآخـر بينمـا كان هـو يدور فى الشوارع والأمكنة بكـاميرا صغيرة ، وأنـه كـان يتمنى الرحيـل ، غـادر المنـزل ؛ فجـأة رأى مخاطبه يرمقـه بنظـره يستيقظ يقـول : هـل كـان بوسعى أن أفعـل شـيئا ؟ فكـرت وقـال : لـم لا ؟ وراق الحديث لبعض .. وراح قليـل منهـم يتبعـه الى النهـر كـل شيء كمـا هـو بينمـا كـان يرنـو للحظـة التى سيختلى فيهـا بنفسه وعيناه معلقتـان بالحـائط »(٤٤) .

---

(٤٤) المجـلة ص٨٤ .

التعليـــق عـــلى القصـــة

أولا : ملاحظـــات على الشكل « الأسلوب » ..

أول ما يلاحظه القـــارىء على هـــذه القصة من حيث الأسلوب : الغمـــوض .

واذا كـــان قـــد تقـــرر فى علوم العربية أن الأسلوب هو الوسيلة التى يعبـــر بهـــا كـــل أديب عن فكرته فـــانه قـــد عـــدم هنـــا لأن الفكرة قـــد عدمت أو باعـــدامه عدمت الفـــكرة ســـيان فى نظـــرى ضـــياع أحدهما بســـبب ضـــياع الآخـــر .

فـــأنت لا تدرى عمـــن يتحـــدث ؟

ولا من يخـــاطب ؟

وما ركنـــا جملتـــه ؟

أين المســـند اليـــه ؟

وأين المســـند ؟

وما الغـــرض من الانشـــاء ؟

وما العبقرية فى صـــياغة الأسلوب الخبـــرى ؟

فضلا عن مكونات الأسلوب الأدبى من الارسال والتأكيد والتعريف والتنكير والتقـــديم والتأخير وغيرها ممـــا يشكل صرح العمـــل الأدبى المتقـــن .

انـــه بغموضه لـــم يترك لمحـــلل فرصـــة ولا لعـــالم مجـــالا لدراســـة أسلوبه فـــأين هـــذا الأسلوب ؟

انـه مجـرد كلمـات مرصوصة تحسبها عربية وهى فى الحقيقة نـون من الأعجمية خطـير •

أجـل ، فـان الأعجمية الجغرافية واضحة المعـالم والدلالات وربمـا لا نكـون مبالغين اذا قلنـا انهـا واضحة الأهداف والمخططات فـان أعداء العربية حين يوجهون عداءهـم اليهـا لا يقصدونها وانما يقصدون الكتـاب الذى بـه نزلت ولغتهـم تختلف عن لغتنـا شكلا ومضمونا نثـرا وشـعرا فـهى الحـادى الذى يحـدو بهـم الى أغـراض حياتهم ولغتنـا حادينـا الى أغراض حياتنـا •

والفـرق بين الذين يرقصون والذين يصلون لا يخفى على مبصر ولا أعمى •

لكن الخطـورة فى تلك الأعجميـة التى ترتدى ثـوب العربيـة فالحـروف عربية لكن التركيبات غربيـة تهـوى بالقـارىء فى واد سـحيق من فقدان الذاتيـة والغـاء الفـكر والانطلاق بـه نحـو الغموض ربمـا يكـون هدفـا استعماريا لمـا يكتشف بعـد •

ثانيا : من حيث المضمون :

مضمون القصـة هـو المعنى الأصيل الذى يحـاول كل قـاص أن يعمقـه فى نفس قـارئه مثلمـا تعمـق فى نفسـه هـو ، وأن ينقـله من طيـات ضلوعه وتضاعيف فـكره وعمق خيـاله على جناح من اللين والمتعـة الى فـكر قـارئه ووجـدانه •

فـاذا سـأل سـائل وما مضمون القصـة هنـا ؟ والجـواب

الا جـواب ، بـل انـه يصـح أن نقـول ان مضمونها ذكريات من المـاضى ، أقـوال ، وأفعـال ، حركات وسكنات ، آلام ، وآمال ، دمـوع وابتسامات ، مفارقات بين البشـر وغـير ذلك من العناوين التى تصـلح مضمونا لهـذه القصـة التى غـاب عنهـا مضـمونها فانزوت يكفـر بهـا العقـل ولا يؤمن بهـا وجـدان وليست هناك مشكلة سـعى الكاتب الى حلهـا أو بلورتها فى شـكل أدبى مبـدع وكـل ما يخرج بـه القـارىء من هـذه القصـة صـداع فى الرأس وألـم فى القلب وضياع للفـكر ، فليس هنـاك مكان محـدد ولا زمان مقيـد والزمان والمكان من عنـاصر القصة كمـا أنـه يفتقر الى الربط بين الأحـداث وتسلسلها بسلسلة فكرية تدعـو القارىء الى التتبـع ومسـايرة الأحـداث صحيح ورد وصـف يكـاد يطبق على العقـل ويوهمـه بأن هناك عمـلا أدبيـا ذا قيمـة وذلك قـوله « الشوارع انشـبه مظلمـة(٤٥) ، الضـوء الخافت الذى يرتمى على أرضيتها من خـلال بعض مداخـل البيوت المفتوحة أو الشراعات المشـغولة بأشكال مختلفـة أعلى الأبواب(٤٦) .

« لكنـك تحصـد مـرارة الخيبة بعـد هـذا الوصف حيث يقـول : « ونحن نتسـاءل كيف يراهـا ، ما الذى يـراه ؟ وما الذى لا تقـع عينـاه عليه ولـم تكن تلك هى المـرة الأولى فما حـدث . عـلام يعـود الضمير (نحـن) وعن أى شىء يتسـاءل (نحـن) وعـلام يعـود الضمير فى قـوله « يراهـا » وما المقصود بقـوله « ما الذى يـراه ، والنـاس تعـرف الفـرق بين الأسلوبين الأول

---

(٤٥) راجـع المجـلة ص٨٠ .
(٤٦) المجـلة ص٨٠ .

ما الذى تقع عيناه عليه والثانى : ما الذى لا تقع عيناه عليه .

الكاتب المبدع يختار الأول دون الثانى لأن الاول يفيد أن المتحدث عنه غارق فى فكرة ما فهو شارد البصر يحدق فى منظر ما ، ويسترجع بذاكرته أحداثا مرت أو ينتظر أحداثا ستأتى فيقول ما الذى تقع عينه عليه ؟

لكن هذا الكاتب اختار الثانى دون الأول ما الذى لا تقع عيناه عليه وكأن المتحدث عنه روى كل شىء وهو يستفسر من شىء ما لا تقع عيناه عليه وهذا مستحيل عقلا .

ثالثا : من حيث البناء الفنى :

لقد أثرنا فى بداية هذا البحث الى عناصر القصة الفنية وتناولنا بشىء من التفصيل ، وأهم ما يميز القصة كجنس أدبى بناؤها الفنى فكما يبنى البيت ويحكم بناؤه تبنى القصة أيضا .

واذا كان الشاعر من أدوات البناء ، الوزن والقافية ، والخيال ، والفكر ، والصدق الفنى ، والأسلوب .. فان للقاص أكثر من مجال وأكثر من سوق لمواد بناء قصته ، من فكرة وأسلوب وجبكة ومواقف وأحداث ، وصياغة ولحظة تنوير تعقب عقدة وحلا يبين رأيه ويصور موقفه من الحياة وقضايا البشر .

وقد صحبت الفكرة الأسلوب وسافرا الى عالم مجهول

ولم يبق أمام الكاتب سوى وصف لا يمت الى موضوعه بصلة ، أنظر الى قوله « الشوارع الشبه مظلمة » ، « الضوء الخافت الذى يرتمى على أرضيتها » ، « من خلال بعض مداخل البيوت المفتوحة أو الشراعات المشغولة بأشكال مختلفة على الأبواب وتنعكس بغير حجمها على الأرض • وهذا القرص المنور وسط السماء ، لا صلة لمثل هذه الفقرة بموضوع الكاتب الذى لا ندرى حقيقته ، وان حاولنا جاهدين بنا الفكر حول هذه البيوت التى هى شبه مظلمة ماذا فيها ؟ هل هناك بؤساء يسكنونها وهذه الظلمة رمز لحياتهم ، هل هذه الظلمة كانت تشير الى وقت انقطاع الكهرباء وبداخلها أناس يأكلون ويتمتعون يعيشون أطيب حياة ، ولماذا آثر أن يجتمع بين الشراعات المشغولة بأشكال مختلفة وبين هذا الضوء الخافت أذلك لسحر فنى يرمى اليه من تصوير احدى الشخصيات فى صورة رقيقة هادئة كالليل حالمة بديعة كمشغولات الشراعات أسئلة كثيرة تحملها هذه الفقرة وغيرها لكن القصة برمتها عاجزة عن الجواب • فنحن أمام هذه الفقرة أشبه ما نكون بجماعة وقفوا أمام حائط لقصر لكنهم وبعد أن انتقلوا خطوات وجدوا أنهم أمام أطلال ودمى ، فأنت تقرأ قول الكاتب(٤٧) « بعدها كنت أتحدث بمفردى ، بعدها ناديت بكل صوتى ، بعدها لم ترد ، بعدها صدر نفس الصوت فى المياه » •

---

(٤٧) المجلة ص٨٢ .

ويا لركاكة « بعدهـا » وتكرارها الذى لـم يضف جـديدا ولم يكشـف عن معنى مخبـوء فى صـدر ذلك الكاتب ، هـذه نقـلة من الليـل والبيـوت شـبه المظلمة والشراعات المشغولة بأشكال مختلفة الى سلسلة « بعدها » التى نقلناها آنفـا ، لم يحكم الكاتب بناءها ، ولـم يربط بينهـا ، فهى المفككة فى غـير بنـاء ، الصارخة بأعلى نـداء ، القائلة وقولها رجـاء أنقذونى من الأدعيـاء .

سـائلا المـولى أن يكـون عملنا خالصا لوجهـه وأن تكون هذه خطـوة على الطـريق الذى يقصـد بـه بيـان الحـق وتنشـد فى نـوره الحقيقة .

واللـه المسـتعان ..

د. صـالح ربيعى العـزب